

صورة الطفل في شعر الأطفال المقاوم

شعر سلافة الحجاوي نموذجاً

عاطى عبيات*

الملخص

تمثّل الطفولة في التجربة الإبداعية عنصراً مهماً وحيوياً وحساساً للغاية يوظفها الأديب أو الشاعر وفق رؤيته الإنسانيّة ومنطلقاته الإبداعية. ومن هذا المنطلق غطّت صورة الطفولة (البراءة والطهارة) معظم تجارب الشاعرة المناضلة الفلسطينية سلافة الحجاوي في ديوانها *حلم شعر الأطفال* وأعمالها الشعرية الأخرى ممّا عكس ثراء هذا الجانب الوجوداني في شعرها. لقد تمخضت الدراسة عبر المنهج الوصفي - التحليلي عن أثر توظيف صور الطفولة المستوحاة من واقع المعاش والطبيعة وعناصرها من قبل الشاعرة في إنتاج صورها الشعرية الوليدة من رحم المعاناة، وتسليط الأضواء على صورة واقع أطفال فلسطين وانقادهم من جحيم المعاناة التي يعانونها في أرضهم المستباحة. تدلّ نتائج البحث على أنّ نصوصها الشعرية المشفرة وغير المشفرة الموجهة للأطفال مفعمة بالقيم الإنسانيّة النبيلة ومبادئ الأخلاق والمعرفة والإبداع. فأنت الطفولة وصورها في ظل الاحتلال الصهيوني والتجوع والحرمان موزعة بين الأمل والألم، وبين الحب والكراهية، بين الحرية والسجن، وبين البناء والهدم، وبين المدرسة والمعتقل، مؤكدة في ذلك على

* الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة فرهنكيان، ايران، A.Abyat@cfu.ac.ir

تاريخ الوصول: ١٣٩٩/٠١/١٤، تاريخ القبول: ١٣٩٩/٠٤/٢٠

ضياح القيم الإنسانية وسط صمت بشري رهيب، ورغم تلك المآسي التي فجرها المختل الصهيوني في وئد الطفولة واحلامها، فكان شعرها ييئث دوماً رسائل المحبة والتعايش.

الكلمات الرئيسية: أدب الأطفال، صورة الطفل، شعر فلسطين، شعر المقاومة، سلافة الحجاوي.

١ . المقدمة

يُعد أدب الأطفال أحد أهم السبل لتعريف الطفل بالحياة وأبعادها واكسابه الخبرات المطلوبة والمهارات اللازمة لحياته الحالية والمستقبلية وهو بأنواعه الأدبية المتعددة (الشعر - القصة - المسرح - الرسم...) يمكنه أن ييئث في النشء القيم والمبادئ التي ستمثل النمط الثقافي المستقبلي وتمنحه الهوية الثقافية، وينمي فيهم الوعي الاجتماعي وروح التعاون والمشاركة الوجدانية للآخرين ويشبع لديه الحاجات الأساسية عقلياً وعاطفياً واجتماعياً ونفسياً وروحياً وجمالياً. وعلى الرغم من التطور التقني واختلاف وسائل المعرفة، فإن أدب الأطفال سيظل قادراً على القيام بدوره التقليدي في تنمية ميل الأطفال نحو القراءة بشكل عام وفي تنمية مهارات الإبداع لديهم.

يستطيع أدب الأطفال المشاركة في إعداد الطفل للحياة المستقبلية، وذلك بطريقتين، أحدهما أنه يكسبه المهارات اللازمة للغد، وثانيهم أنه ينقله زمانياً إلى استشراق أفق المستقبل، وما أكثر الأعمال التي تتخذ المستقبل ومعطياته واختراعاته موضوعاً لها وهذا الوعي بالمستقبل هو الذي يولد لدى الأطفال الطموح والأمل في الغد، وفرق كبير بين أمة تدفع أطفالها فقط للتفكير في ماضيها، وبين أمة تسعى بأطفالها للنظر في المستقبل، ومعلوم سيناريوهات المستقبل كثيراً ما بشر بها الأدب، وبعضها تحقق على المستوى العالمي (الضبع، ٢٠١٤م: ٥٢).

يقوم أدب الأطفال بدور كبير في تعليم وتعلم القيم والمبادئ والمفاهيم الإيجابية من خلال النموذج التي يعرضها لتعامل البشر مع بعضهم البعض وتعاملهم مع الكائنات الأخرى من حيوان ونبات وجماد والتعامل بين هذه الكائنات بعضها بعضاً. فأدب الطفل لا يعني مجرد

القصة أو الحكاية الثرية أو الشعرية، وإنما يشمل المعارف الإنسانية كلها، إن كل ما يكتب للأطفال سواء أكان قصصاً أم مادة علمية أم تمثيلات أم معارف علمية أم أسئلة أم استفسارات في كتب أو مجلات أو في برامج إذاعية أو تلفزيونية أو شرائط أو غيره كلها مواد تشكل أدب الطفل. فتعتبر فلسطين من أهم الدول العربية التي ركزت منذ وقت مبكر على أدب الأطفال سرداً وشعراً وصحافة ونقداً ودراسة.

فقد أهتمت المؤسسات الفلسطينية بالطفل من مرحلة الروضة حتى مرحلة الفتوة والمراهقة فرسمت مجموعة من البرامج والمخططات التنموية للنهوض بالطفل الفلسطيني، واهتمت بجوانبه السيكولوجية والاجتماعية والتربوية والأدبية والعلمية له. فأما صورة الطفولة في شعر الفلسطيني المعاصر فقد حملت دلالات وإجاءات وثيقة الصلة بنفسية الشاعر وتوجهاته وآراءه. ومن يتصفح دواوين شعراء الفلسطينيين المعاصرين سوف يستشف مدى إبداعهم في توظيف صورة الطفولة وإحاحهم على تكرار بعض الجوانب الهامة والمثيرة في حياتهم.

فالطفولة إحدى العناصر المهمة التي حظيت باهتمام واسع عندهم فرسموا لوحات جميلة مصبوغة بألوان متعددة عن الطفل وبضرورة صيانة حقوقه وتبين حجم المعاناة التي يعيشها الطفل الفلسطيني في ظل الحروب التي شهدتها فلسطين.

فأنت الطفولة وصورها في شعر الشاعرة "سلافة الحجاوي" في ظل الاحتلال الصهيوني والتجويد والحرمان موزعة بين الأمل والألم، وبين الحب والكراهية، بين الحرية والسجن، وبين البناء والهدم، وبين المدرسة والمعتقل، مؤكدة في ذلك على ضياع القيم الإنسانية وسط صمت بشري رهيب.

ورغم تلك المآسي التي فجرها المحتل الصهيوني وذبح أطفال فلسطين واحلامهم، كان شعرها يث دوماً رسائل المحبة والسلام مما عكس بدوره حالاتها النفسية والوجدانية الرامية لترقية الذوق وتنمية الحس والمشاعر الإنسانية وزرع الهوية الوطنية والثقافية وبت الوعي الاجتماعي والوعي القانوني في نفوس اطفال فلسطين وتسليط الأضواء على حقوق أطفال فلسطين المهضومة وإنقاذهم من جحيم المعاناة التي يعانونها في أرضهم المستباحة.

١.١ أهمية البحث

١. يُعتبرُ أدب الأطفال هوأحد الأنماط الأدبيّة المتجددة في الآداب الإنسانية. فالطفولة هي غرس المأمول لبناء الأمم.
٢. إنّ الاهتمام بالطفل وحقوقه الكاملة هوالاهتمام بالقاعدة الكبرى والركيزة التي يبني عليها المجتمع آماله وغاياته في مجال النهوض والتقدم والتنمية الإنسانية والثقافية والحضارية بإعتبار أنّ الأطفال هم رجال الغد.
٣. سعت الشاعرة إلى معالجة الأحداث من خلال الحيوانات والطيور والألوان والطبيعة الصائتة والصامتة باعتبار أنّها محببة إلى قلب الأطفال والعمل على توصيل الكثير من المفاهيم والرسائل.
٤. الكشف عن تعامل الشاعرة سلافة الحجاوي مع الطبيعة وعناصرها في شعرها الطفولي وتوظيفها واستثمار دلالاتها في مقارعة العدو المحتل الصهيوني. مما شكّلت الطبيعة وعناصرها شبكة من الرموز مثّلت الهوية الوطنية والعراقة الفلسطينية وجذورها منذ فجر التاريخ في خطابها الشعري.

٢.١ أسئلة البحث

- ما هي المفاهيم الإنسانية التي تطرقت إليها الشاعرة في قصائدها الطفولية؟
- كيف تجلّت صورة الطفل الفلسطيني في شعر سلافة الحجاوي؟

٣.١ فرضيات البحث

- تطرقت الشاعرة إلى مفاهيم إنسانية مشتركة، كالحياة، حبّ الطفولة، براءة وطهارة الطفولة، حبّ الوطن، حبّ المدرسة والتعليم، حبّ الطبيعة، حبّ اللعب، حبّ قيم الخير، حبّ الانتاج، حبّ البناء، العيش المشترك، الحلم بمستقبل آمن ومزدهر ومفاهيم وموضوعات أخرى.

- تجلّت صورة الطفل الفلسطيني في شعر الشاعرة سلافة الحجاوي، منزوع الإرادة والحقوق ومحروم من أبسط أساسيات الحياة التي كفلتها الشرائع السماوية والقوانين الدولية للأطفال ورغم ذلك تجده مقاوماً في وجه آلة الحرب المحتل الإسرائيلية وتوقفاً لقيم الخير والإنسانية.

٤.١ خلفية البحث

هناك بعض الدراسات والبحوث التي تناولت صورة الطفل في الشعر ولم نعثر على أي بحث تناول شعر الشاعرة الفلسطينية سلافة الحجاوي في هذا الصدد سوى بحث واحد: ومن هذه الدراسات كتاب مدخل إلى أدب الطفل الفلسطيني للمهند محمد الشعبي ٢٠٠٢م. وهذا الكتاب يتناول تراجم لكتاب الأدب الفلسطيني ومبدعيه وباحثيه في وجه المحتل الصهيوني والذي يريد طمس الهوية الثقافية لفلسطين.

وبحث لعبدالرحمن مشهور الحبارزي (٢٠٠٩)، «اتجاهات شعر الطفل في الشعر الفلسطيني المعاصر»، مجلة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد ١٥. وهذا البحث يتناول تصنيف الشعر الذي أبدعه عدد من الشعراء الفلسطينيين للأطفال، ومعرفة القيم التي ضمّنها المبدعون الشعراء في كلّ اتجاه من اتجاهات الشعر، والتي حصرها الكاتب في أربعة اتجاهات هي: الوطنية، والاجتماعية، والتعليمية، والترفيهية.

وبحث «فلسطينيات في أشعار سلافة الحجاوي» باللغة الفارسية للكاتبين زهرا عباسي سمناني وليلا قاسمي حاجي آبادي مجلة مطالعات نقد أدبي ١٣٩٣ السنة ٩ العدد ٣٦ وقد سعنا على تسليط الضوء على المفاهيم الموضوعية وعنصر التكرار في شعر الشاعرة.

٥.١ نبذة عن حياة سلافة الحجاوي

وُلدت الشاعرة والباحثة سلافة حسن طاهر الحجاوي في مدينة نابلس عام ١٩٣٤م، تلقت تعليمها الثانوي في مدرسة العائشية ثم سافرت مع عائلتها إلى العراق وحصلت على شهادة

البكالوريوس في الأدب الإنجليزي من جامعة بغداد عام ١٩٥٦م. حصلت على شهادة الماجستير في العلوم السياسية عام ١٩٨٧م.

عملت في تدريس العلوم السياسية بجامعة بغداد لعدة سنوات ثم استقالت لتلتحق بمؤسسات القيادة الوطنية الفلسطينية في تونس حيث أصبحت مستشارة سياسية للرئيس الراحل ياسر عرفات وتزوجت بعد تخرجها من الأيب والشاعر العراقي كاظم جواد، وانخرطت في الحياة الثقافية في العراق خلال الستينيات حيث عملت في مجال البحث والترجمة. بدأت نشاطها الأدبي مبكراً حيث نشرت قصائدها في مجلة الأدب اللبنانية (فراني، ٢٠١٤: ٢٨٧). من أعمالها:

- ١- لوركا قيثاره غرناطة، إعداد وترجمته بالتعاون مع كاظم جواد - بغداد ١٩٥٧م. ٢-
- شعر المقاومة في فلسطين المحتلة، ترجمة من العربية إلى الإنجليزية، ١٩٦٩م. ٣- أغنيات فلسطينية، شعر، بغداد، وزارة الإعلام، ١٩٧٧م. ٤- التجربة الخلاقة " دراسة مترجمة عن الإنجليزية وعن التجربة الابداعية والحداثة في الأدب. ٥- ما هو النقد، تأليف بول هيرنأى، ترجمة، ١٩٨٩م. ٦- سفن الرحيل، شعر، ١٩٩٩م. ٧- اليهود السوفييت؛ دراسة في الواقع الاجتماعي. ٨- ديوان حلم الأطفال.

٢. أدب الأطفال

من المؤكد أن أدب الأطفال يعدُّ وسيلة هامة من وسائل تنشئة الأطفال وتربيتهم وتثقيفهم، لذا فإن الاهتمام المتزايد في العالم بالأطفال وتلبية حاجاتهم النفسية والتربوية والتثقيفية دفع الكثير من الدول للعناية بأدب الأطفال الذي بات يشكل ضرورة وطنية وقومية، وشرط لازم من شروط التنمية الثقافية المنشودة في عقدها الدولي، بل إن كل تنمية ثقافية تتجاهل أدب الأطفال أو تهمله ناقصة وتفتقر لجذورها، لأسباب تتعلق بطبيعة التكوين المعرفي والتربوي للإنسان وغنى عن القول إن أدب الأطفال سبيل لا غنى عنه لتسريع عملية التنمية الثقافية والاجتماعية مما يتطلب المزيد من الجهد لتأصيل أدب الأطفال وتدعيمه في التربية والمجتمع في مختلف المؤسسات، ولا تتوقف هذه الجهود عند نشر كتاب أو بث برنامج إذاعي، أو عقد

أمسية أدبية على أهمية هذه النشاطات بل تحتاج إلى تخطيط قومي شامل، في صلب التخطيط القومي للثقافة العربية. يراعى خصوصيات أدب الأطفال وينهض بمسؤوليته على أنه ادخار مضمون في كسب معركة الحياة العربية (كنعان، ١٩٩٩م: ٦٥)، كما يعزز ثقة الطفل بنفسه، وينمي إبداعه وطاقاته وقدراته الابتكارية، ويدفعه للاستكشاف والبحث، والتساؤل.

فأدب الأطفال كما يراه حسن شحاته يتيح الفرصة أمام الأطفال لتحقيق الثقة بالنفس، وروح المغامرة في مواصلة البحث والكشف وحب الاستطلاع، والدافع إلى الإنجاز الذى يدفع إلى المخاطرة العلمية المحسوبة من أجل الاكتشاف والتحرر من الأساليب المعتادة للتفكير والميل إلى البحث فى الاتجاهات الجديدة (شحاته، ١٩٩٤: ١٢).

يلعب أدب الأطفال دوراً مهماً فى زرع القيم والمبادئ فى نفوسهم، بالإضافة إلى أنه يلبي حاجة الأطفال للمعرفة وفهم العالم من حولهم، ويزيد من إدراكهم وينمى خيالهم، إذ إن الأدب يثرى لغة الأطفال من خلال ما يزودهم به من الخيرات المتنوعة. وهو يساعد على تحسين أداء الأطفال، ويزودهم بقدر كبير من المعلومات التاريخية والجغرافية، والدينية، والحقائق العلمية، ولاسيما القصة. والأدب يوسع خيال الأطفال ومداركهم من خلال متابعتهم للشخصيات القصصية أو من خلال قراءاتهم الشعرية، أو من خلال رؤيتهم للممثلين والصور المعبرة. كما أن الأدب يهدّب وجدان الأطفال لما يثير فيهم من العواطف الإنسانية النبيلة ومن خلال مواقف شخصيات القصة أو المسرحية التى يقرأها الطفل أو يسمعها أو يراها ممثلة، فيندمج مع شخصياتها ويتفاعل معها (عبدالفتاح، ١٩٨٨: ١٩-٢٠).

وقد شكل إعلان حقوق الطفل الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة تكريساً وترسيماً لهذا اللون الأدبي؛ فأصبح منذ منتصف القرن العشرين جنساً أدبياً قائماً بذاته، ينطبق عليه ما ينطبق على الفنون الأدبية من تعريفات وخصائص، إلا أنه موجه إلى فئة محددة من المجتمع، تمتد من الطفولة الصغرى وحتى مرحلة المراهقة، فأخذ المربون والكتّاب والشعراء يولون هذه الفئة عناية خاصة في المناهج الدراسية والنصوص الإبداعية، آخذين بعين الاعتبار ما يناسب من الخصوصيات والمواصفات الضرورية كمرعاة أعمار الأطفال واحتياجاتهم وميولاتهم ومهاراتهم اللغوية؛ حتى يجدوا في هذا الأدب الفائدة والإمتاع العقلي

والإنعاش الوجداني والعاطفي؛ فترتفع به أخلاقهم، وتزداد بفضلهم معارفهم، ويجعلهم يفكرون بالآخرين، فلا يقتصر تفكيرهم على أنفسهم، ويشمل هذا الفن الأدبي الأشعار والقصص والمسرحيات وغيرها.

٣. نشأة أدب الطفل الفلسطيني وتطوره

يبدو أنّ الأدب الفلسطيني تأخر في ظهوره بالنسبة إلى الأقطار العربية الأخرى لعدة عوامل من أبرزها خضوع فلسطين للاحتلال العثماني أولاً ثم الانتداب البريطاني، لذا فهو أدب حديث الظهور، رغم أنه يحمل في طياته الكثير من الخصائص التي يحملها أدب الطفل في البلاد العربية بشكل عام. ويعود تأخر ولادة أدب الطفل الفلسطيني عن ولادته في مصر في نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين لاختلاف طبيعة الظروف التاريخية، ذلك أن مصر أستطاعت أن تخرج من قيضة العثمانيين قبل فلسطين بعقود متعددة من الزمن، وتمكنت من الاحتكاك بالعالم الغربي، والاستفادة منه بنقل مآثره مناسباً، كما أن درجة الوعي جراء هذا الاحتكاك كانت متباينة ويضاف إلى ذلك أن فلسطين تعرضت لما هو أخطر من العثمانيين وهو الانتداب البريطاني الذي كان مطية لإعلان الدولة العبرية على أرض لها شعب (الشعبي، ٢٠٠٤ : ٢٤).

إمتزج الأدب الفلسطيني من شعر ونثر ومسرح ورواية وقصة وفنون أخرى بواقع الاحتلال الصهيوني وممارساته البغيضة سواء كان هذا الأدب وليد الداخل أو وليد المنفى و بما «أنّ الأدب هو مرآة المجتمع وخير معرّ عن المجتمع وخير مصور له ولمضامينه منذ القدم إلى يومنا هذا وميلانه في العصر الحديث نحو نحو مفاهيم الوطنية ومحاربة الطغاة والمحتلين والتحرر والديمقراطية والعيش الكريم» (رستم پور ملكى وآخرون، ١٤٤٠ق: ٧٦). انعكس على الأجناس الأدبية الأخرى فلم يكن الأدب الفلسطيني بعيداً عن هذه الإتجاه.

فكان لكلّ فلسطيني من طفل وامرأة ورجل وشيية حصة من المآسي والفجائع والاضطهاد والتعسف. وقد فرض الواقع المأسوي الذي عاشه الطفل الفلسطيني ظروفاً غيرت طبيعة حياته، وأفقته ملامح الطفولة، وأجبرته في كثير من الأحيان على أن يجيأ حياة

تتجاوز عمره الزمني، وتتخطى قدراته الجسدية؛ مما يؤكد الغبن الذي تعرض له، لنجدده يصحو «على عالم مختلف يفرض فيه العدو قوانين الإبادة العنصرية، فبينما يتمتع كثير من أطفال العالم بطفولتهم، ومباهجها؛ يطلب من هؤلاء أن يخوضوا معركة الحفاظ على الوجود بكلّ الأشكال (عزت الشحاذاة أبو سلطان، ٢٠١٦م: ٨٦).

٤. صورة الطفل في شعر سلافة الحجاوي

من خلال قراءة النصوص الشعرية التي كتبتها الشاعرة لفلسطينية سلافة الحجاوي لأطفال وطنها، استهدفت محبة الوطن والدفاع عنه في الداخل والخارج، كما استهدفت حتّهم وتشجيعهم على الجهاد والتضحية من أجل الحرية والإستقلال، وتعميق فكره البناء الوطني والاعتزاز بالأمة العربية والعمل على وحدتها، وطرد المستعمرين والمحتلين من فلسطين العريضة، ودعوة الأطفال للالتزام بطاعة الله ورسوله ودينه القويم.

كما تطرقت أيضاً إلى قدسية الوطن الفلسطيني وتنمية الإحساس الإنساني ومحاربة الظالم ومساعدة الضعيف، ودعوة الأطفال إلى العلم والتعلم لأن فيه خير الأمة والوطن. كما دعت الأطفال لمعرفة واجباتهم وضرورة إحترام الكبير والصغير وحبّ الأسرة والوالدين، وتشجيع الأطفال على العمل والجهاد لرفعة شأنهم وحميتهم للوطن كما عملت على تنميه ملكة الخيال والتفكير والإبداع عندهم كما حاولت التركيز على حقوق الضائفة لأطفال فلسطين المسلوبة من قبل المحتل اللدود الصهيوني.

١.٤ صورة الطبيعة وحقولها الإيحائية

لم تكن رؤية الشاعر الفلسطيني إلى الطبيعة رؤية سطحية ولم تكن فقط لتوصيف الأشياء، بل كانت رؤية ثاقبة ونافذة عملت على توظيف الطبيعة وعناصرها كأدوات نضالية تناضل المحتل وتنصر الفلسطيني في صراعه مع المحتل الصهيوني. فجاءت الرموز المنبتقة من الطبيعة كالأشجار تحمل دلالات عظيمة تدلّ على رفض الشاعر للمحتل والوجود الصهيوني في فلسطين.

فالأشجار عموماً في الشعر الفلسطيني المعاصر تطورت بنيتها الدلالية من مجرد أشجار نابته، إلى دلالات حملت فيه طياتها مفاهيم الوطن، والهوية الوطنية، والتجذر، والأصالة، والكفاح، والانتماء وغيرها من دلالات متطورة حديثة تتناسب المرحلة التي يمر بها الشعب والشعر الفلسطيني، إذ تقول:

شجيرة زرعتهما/ لأحتمي بظلالها/ عصفورة هرعت إليها/ صارت ترفرف حولها/ شجيري
بشّت لها/ وأسكنتها حضنها/ أغصانها فرحت بها/ من حبها رقصت لها/ فاستأنست
بحفيفها/ وغدت تمارس بثها (الحجاوي، ٢٠٠٩م: ٤٧)

تحولت الشجرة عند الشاعرة الفلسطينية المعاصرة سلافة الحجاوي إلى مفهوم الوطن، فهي تحتمي بظلها وتشعر بالسعادة في إحضانها، لذلك رمزت إلى الوطن بالشجيرة وعن نفسها عندما كانت طفلة بالعصفورة الدالة على البراءة والتي تبحث عن شيء تحتمي به. فأصبحت الطفولة كعصفورة ترفرف حول الوطن السليب. فالطفولة في فلسطين محرومة من أبسط الحقوق ما يتعلق بالأرض والوطن والتغنى بأحضانها.

وفي قصيدة أخرى تتحول الشجرة إلى طفلة مكافحة، طفلة مناضلة سمرء يقتادها المحتل إلى دهاليز السجون ليحرمها من نعمة الحياة، فرغم الظلام والبطش والحرمان تنمو فروعها وترعرع وتؤكد على حقها في الحياة لأن كل الأرض تشهد بحقها، حيث تقول الشاعرة سلافة الحجاوي:
فلسطينية.. عربية.. سمرء.. ثورية./ خذوها أيها الغرباء للزنزانة الرطبة لقد كانت سجينتهم
هنا طفلة/ وكان السجن بستانا/ تعرش فوقه فلة/ ويا بواب السجن/ كان الباب في أيامها شجرة/
ورغم إرداة القتلة/ نمت أغصانها ونمت/ ضفائر شعرها النضرة/ ستبقى هذه الشجرة/ ستبقى
هذه الشجرة/ فكل فتون هذي الأرض في الأوراق مستترة/ وكل سجينة في السجن في الأثمار
منتشر! (نفس المصدر: ٥٣).

وفي قصيدة أخرى يُجند الشاعرة كل الأشجار بدفاع عن الأرض في ترميز مباشر إلى أطفال فلسطين كي يتقدموا بأجسادهم الطاهرة وصدورهم العارية كي يقاتلوا المحتل الجاثم على صدر فلسطين وبذلك تضحي الطفولة الفلسطينية بحقها في العيش والعب بحياتها في سبيل استعادة تلك الحقوق المشروعة.

إلى القتال أيتها الأشجار/ مضيت على جناح الليل/ أنت النور والمطر/ فأينعت السهول
الصفير/ أورك حولها الشجر/ قالت الأشجار جريح قالت الضفة/ شهيد ... ردت الأشجار
في لهفة/ أخبئه مع التيار والإعصار والأمطار.../ سيغدوهنا شلال/ أخبئه مع الأقمار/ في
جربي... وكل شجيرة بطلة/ ستطلعه مع الأيام في أغصانها ثمرة.(نفس المصدر: ٩٦).

الشرائع السماوية والقوانين الدولية تؤكد على حق الأطفال بالتمتع من الحياة والابتعاد عن
ساحات الحروب ويجب أن تصان حقوقهم. لكن في فلسطين المحتلة كل شيء يقاوم بدءاً
من الكبار حتى الصغار ولم تختصر المقاومة على أبناء فلسطين بل شملت الحجر والمدر.

٢.٤ شجرة الزيتون وحقولها المعرفية

راح الشاعر الفلسطيني يبحث عن رموز غير بشرية لتجعل صلته بأرضه أقوى وأعمق وأن
تكون حلقة الوصول ما بينه وبين أرضه وحضارته التاريخية، لذلك وجد في شجرة الزيتون
مبتغاه؛ لأن طول عمر هذه الشجرة ودوامها لآلاف السنين يجعل منها رمزاً لعمق الجذور التي
تربط الإنسان الفلسطيني بأرضه ولذلك تمنى الشاعر سلافة الحجوي رغم بث حزنها وهماها
أن تكون زيتونة في إشارة إلى (الوطن) تعمر وتعطي بلا حدود:

آه أيتها الشجرة.. / يا شجرة الزيتون.. / يا ليتني كنت شجرة مثلك. / فقد كرهت أن
أكون من البشر. / أريد أن أعمر آلاف السنين مثلك... / ومثلك أعطي بلا حدود.. / لأن
الخلود لا يليق إلا بك.. / ولا يليق بالبشر الفانين.. التافهين! (نفس المصدر: ٩٥).

فشجرة الزيتون من أكثر المفردات تردداً في قاموس الشعري الفلسطيني، وعلى إثر ذلك
تنوعت دلالاتها حسب رؤية الشعراء، فأصبحت أيقونة تؤنس وحشة الوجدان، وتسطع في
فضاء الذاكرة وتغدو معلماً من المعالم الوطنية. فأصبحت شجرة الزيتون ترمز عندهم إلى معانٍ
كثيرة ومنها: الأرض المغتصبة، المقاومة الفلسطينية، التحريض على الثورة، السلام، الانتشار،
الغضب العربي في فلسطين، التجدد والتولد، القدسية، الثقافة العريقة الفلسطينية، تشرد
الفلسطينيين، الإلهام الشعري، الشموخ، الصلابة والحرية؛ كما أنّ احضار الدائم يرمز
للحياة والمقاومة المستمرة وما إلى ذلك من معانٍ أخرى كلّها ترجع إلى فلسطين وقضاياها

وهذه كلها تدلّ على أنّ تعدّد رموز الزيتون وتنوّعها ليست إلا نتيجةً لخصوبة هؤلاء الشعراء المذهلة وحبّهم العميق لوطنهم ومن حق الأطفال أن يتغنوا بشجرة بلادهم ويتغنوا بتجذّرهم في أرضهم وأن لا تكون أشجار الزيتون عرضة للاقتلاع والحرق من قبل الصهاينة.

٣.٤ شجرة اللبلاب وحقولها المعرفية

يُعد نبات اللبلاب إحدى أنواع الفول في عائلة البقوليات وينحدر أصله من أفريقيا حيث يُزرع في جميع أنحاء المناطق المدارية من أجل الغذاء ويتنوع وجود هذا النبات نظراً لزراعته على نطاق واسع وبكثرة ويعيش نبات اللبلاب في لبنان وسوريا والأردن والمغرب وفلسطين، وينمو في الأراضي المهملّة أو في السواحل أو سفوح الجبال، وينتمي إلى فصيلة اللبلايات ويتكاثر بالبذور. ويُسمى بعدة أسماء، كعاشق الشجر، وحبل المساكين، وحشيشة مهبولة، وهو من النباتات المعمرة التي تُستعمل أوراقه وأزهاره طبيياً (<https://alkhadraasy.com/2020/05/20>) وفي ذلك تقول الشاعرة:

في زمن الأحزان الشتوية/ إذ ينمو الموت على شجر اللبلاب/ تحزنُ أم اللبلاب/ تبكي،
تبكي/ حتى يخضّر العود/ فتفور على الأغصان/ أوراق ضاحكة الألوان! (المصدر نفسه: ٢٨).
و هكذا تصبح شجرة اللبلاب العريقة رمزاً على موت حياة أطفال فلسطين بفعل آلة القتل الصهيونية. بعدما اقتلع المحتل كل شجرة ترمز إلى عراقية الطفل الفلسطيني في منبته.

سعيًا لتنمية إحساس الطفل بالجمال والفن يعمل الشعراء في خطابهم الموجه إلى الأطفال على وصف مظاهر الطبيعة والتغنى بجمالها ومكوناتها فقد أوصى الفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو" أن تكون تربية النشء في أحضان الطبيعة نظراً لما للطبيعة من تأثير وجداني في الطفولة، ويلاحظ أن حب الطبيعة مرتبط بالتربية الجمالية التي تعنى، تدريب حواس الطفل وخياله وشعوره على محبة الجمال... بوصف التربية الجمالية التي تعنى، تدريب حواس الطفل وتنذوق الجميل، وتأخذ بيد الصغير والكبير نحو الرقي الإنساني، فتُلدِّئُ النفوس، وتتسامى بها وتتصاعد نحو مشاعر اللين والعطف والخير والمحبة (فرانيا، ٢٠١٣: ١٨٢) لذا تمثل الطبيعة والبيئة هماً من هموم الشاعرة سلافة الحجاوي، لكن البيئة التي تنشدها الشاعرة جوها وفضائها

غير آمن للأطفال حيث رصاص القناص (المختل) يطاردهم في مرحهم وفرحهم، وبذلك يسلبهم من حقهم بالتمتع ببيئة آمنة سليمة تطير فيها الطيور بألوانها الجميلة وأصواتها العذبة: جميلة هي الطيور/ فكل ريشها مختلف الألوان / من أخضر لأصفر وأرجوان/ كأنه طيف من الأنوار./ أما حديثها فهو غناء/ وكل طائر له أوتار/ تنافس الآخر في الأداء/ تطير في شوارع السماء/ من الصباح للمساء/ بكلّ غبطة وكل انسجام/ تجعلني أطيّر في الأحلام/ لكنها في قلبها/ تخشى الرصاص/ تخاف أن يقنصها الصيّا/ يا حبذا لو أنه/ لا يوجد الرصاص/ يا حبذا لو أنه/ لا يوجد الصياد.(الحجاوي، ٢٠٠٩م: ٤).

حيث تعتمد الشاعرة تشبيه الأطفال بالطيور، فمثلما تحتاج الطيور شروطاً بيئية معينة لتطير في السماء وتزعد مع اسرابتها، تحتاج أطفال فلسطين لبيئة آمنة وسليمة ليكبروا بها ويترعرعوا بها ويقضوا أيام براءتهم فيها. لكنهم يخشون رصاص العدو المختل من اقتناصهم كخوف الطيور من اقتناص الصياد وبذلك تذبح أحلامهم وتسلب حقوقهم الأساسية في اللعب والمرح مع أصدقائهم. ومن هذا المنطلق يقارن جبراً حنونة في قصيدته كل عام وأنتم بخير بين حال أطفال فلسطين - ضحايا الاحتلال - وبين حال أطفالهم :

كلّ عام وأنتم سكارى/ في أزقة باريس/ في شوارع لندن/ في كل حيّ جميل يروق لكم/ تشترون الملابس والحلويات لأطفالكم/ وأطفالنا يجرعون الأسى والمرارة .. / كل عام وأطفالكم يمرحون/ ويلهون في بهجة العيد/ وأطفالنا يمرحون .. ويلهون ... في الاعتقال/ كل عام وأطفالكم في الحداثق/ وأطفالنا يمرحون بوهج الحرائق.(نقلا عن أبوعمشة، ١٩٩١: ١٨٧).

فالهدايا والملابس والحلويات والمرح لغير أطفال فلسطين، أما نصيب الطفل الفلسطيني من العيد فهو الأسى والمرارة، غيرهم يرتعون في عرض الحداثق، وأما أطفال فلسطين فإنهم يحترقون بنار الاحتلال، وجرمون من حق الفرح بالعيد (أبوندى، ٢٠١١: ٥١).

٤.٤ شجرة الصّبار وحقولها المعرفية

الصّبار ينتمي للفصيلة الصّبارية ومُعظم أنواع الصبار تعيش في الظروف والبيئات الصحراوية. لهذا يضرب المثل بهذه النباتات في تحمل العطش والجفاف، الذي قد يمتد لسنوات طويلة،

وينتج بعضه ثمارا مثل التين الشوكي (ما نسميه بالصبر)، وتنمو أزهار لبعض أنواعه، فالموطن الأصلي للصبر هو أفريقيا الشرقية والجنوبية وأمريكا الجنوبية وشبه الجزيرة العربية.

ما يميز هذه النبتة أنها تعيش من لا شيء ما تريده فقط هو أرض لترتبط بها، حتى لو قطعت لوح صبار ورميته بيني جذورا في الأرض ويعيش. للصبار قدرة احتمال عجيبة في بقائه بظروف البيئة القاسية، يشبه الصبار بذلك الإنسان الفلسطيني المتشبث بأرضه رغم الظروف السياسية والاقتصادية القاسية. فمهما انتزعت من جذوره ومهما زاد عليه الحر والبرد، يعود ويغرس جذوره في الأرض من جديد ويبقى صامدا في مكانه مهما طال الزمن (خصوصية نبات الصّبار في حياة الإنسان الفلسطيني ٢٠١٣م. روضة غنيم <https://www.arab48.com>).

تعتمد الشاعرة سلافة الحجاوي على أشجار ونباتات البيئة الفلسطينية في ترسيم صورها الشعاعية للأطفال بهدف تعميق الفكرة وتسليط الضوء على حجم المعاناة التي يزرع تحتها الطفل والإنسان الفلسطيني، فالطفل الفلسطيني رغم البطش والتعسف التي ينهال عليه من قبل المحتل في استلاب حقوقه ومصادرتها نراه يتشبث بأرضه كشجرة الصّبار التي تتشابك عروقها في الدفاع عن موطنها ولا تسمح للمعتدين باقتلاعها:

في حوله/ أن يزرعَ في أفقٍ ورده/ تتخنُّ أرجاء الكون/ بالرغبة/ لكنَّ الإنسان/ في غزة/ زهره
صّبار/ يشتدُّ عليها الملح/ تشتدُّ النار/ لكنَّ الإنسان/ في غزة/ زهره صبارٍ ممتدّه/ ما بين الرملِ
ووجهِ الله! (الحجاوي، ١٩٩٨: ٣٦).

٥.٤ الطيور وحقولها الإيحائية

أصبحت مفردة "الطير" تحمل دلالات عدّة في المعجم الدلالي للشعر الفلسطيني المعاصر، فأعتبر كل ما يتعلق بالطير ولوازمه من جناح وريش وعش وطيوان وانفعالات أخرى، إشارات متعددة الدلالة تضافرت مع الموقف العام للقصيد، حتى راح الطير وجناحيه ورفيفه يرمز للأمل والحرية والجناح الطليق رامزاً للعودة والرغبة في سرعة تحقيق الأمان، لأنّ موقف العودة يتطلب السرعة الممتزجة بالأمل المنشود، أما في مقابل هذه الدلالة الإيجابية، توجد دلالة سلبية، فإذا الشاعر الفلسطيني وجد بالطير ولوازمه رموزاً ودلالات موحية بالخير والحرية وتحد

الحياة، فتارة أخذت هذه الصورة الإيجابية بالإنحسار لتوحي بدلالات سلبية، إذ استعار الشاعر تارة جناح الطير للإشارة إلى الليل البهيم كما استعار الغراب للشؤم والبوم للخراب وما تحمله من دلالات تشاؤمية في أصواتها وألوانها.

وهكذا جاءت صور رمزية الطير بصياغة أسلوبية مرتبطة بتجارب جديدة ظهرت في الشعر الفلسطيني المعاصر بترك الألفاظ المستعملة والزخارف والصور التقليدية والصور الجاهزة، وهذا شأن كل حركة أو مدرسة شعرية جديدة تحاول أن تظهر صورة عصرها في نتاج جماعتها بوعي يتعد عن التقريرية والبساطة في التركيب، وتنحو إلى إنتاج صور مركبة تتضافر لأداء وظيفتها في بناء القصيدة لتؤثر في القارئ وترسم صورة الموقف والتجربة التي يريد أن يديده. لذلك شكّل الطير بأنواعه المختلفة (كالحمامة، والنورس، والهزار، والعصفور، والبلابل، والغراب، والبوم، والخفاش) ظاهرة موحية دلالية في الشعر الفلسطيني المعاصر تجاوزت المعاني الروتينية، إلى دلالات موحية ذات أبعاد رمزية سياسية وقومية، فالتحمت بالتجربة الشعرية، مما عملت على انفتاح النص على دلالات متطورة. تناولت الأرض، والوطن، والمنفى، والسلام، والعودة، والاحتلال.

يرى الشاعر الفلسطيني خالد الشوملي في الطيور الجواله رمزاً لكل فلسطيني مغترب عن وطنه يأمل أن يرجع إلى عشّه (وطنه) حتى يستقر فيه فهو يتمنى أن تتغير الأحوال في فلسطين المحتلة حتى يتسنى له العودة، إذ يقول:

وطني متى تبدّل الأحوال؟ / حتى يعود الطائر الجوّال / من رحلة المنفى التي لا تنتهي / بين
المنية والمنى أميال (الشوملي، د.ت: ١٧٦).

٦.٤ العصفور وحقوقه الإيحائية

يُعد العصفور من الطيور المعروفة لدى الأطفال أو ربما أقرّبها بالنسبة لهم. إن لهذا الطائر خصائص تجعله كائناً يشبه الأطفال، ومن تلك الخصائص صغر حجمه، والتحدث السريع وروح الدعابة والنشاط والحيوية. لذلك نجد في اشعار سلافه الحجاوي قصيدة حول العصفور الذي يدل علي الرقة والحنية والجمال فتقول:

طَارَ العُصْفُورُ/حَطَّ العُصْفُورُ عَلَى شَجَرَةٍ/نَقَرَ الثَّمَرَةَ/شَبِعَ العُصْفُورُ/عَرَدَ فأمْتَلَأَ
الكَوْنُ/بِالموسيقى/زِقْ زِقْ زِقْ زِقْ زِقْ زِقْ زِقْ/أَتَتِ العُصْفُورَةُ مُنْدهِشَةً/حَطَّتْ فَوْقَ
الشَّجَرَةِ/نَقَرَتْ ذَاتِ الثَّمَرَةَ/شَبِعَتْ/عَنَّتْ/صَنَعَتْ عُشًّا هِيَ وَالعُصْفُورُ/بَيَّنَّ الأَغْصَانَ عَلَى
الشَّجَرَةِ/زِقْ زِقْ زِقْ زِقْ زِقْ زِقْ زِقْ/بِى لِحْطَةَ حِصْبٍ/ بِي لِحْطَةَ/صَارَتْ كُلُّ الأُورَاقِ/فَوْقَ
الأَغْصَانِ/أَسْرَابَ عَصَافِيرٍ/تَلْهُو وَتَطِيرُ/وَتُعَيِّى فِي أَجْمَلِ تَرْتِيلٍ/زِقْ زِقْ زِقْ زِقْ زِقْ!!
(الحجاوي، ٢٠٠٩م: ٢)

فالعصفور رغم رفته وحنينه يرمز إلى الطفل الفلسطيني الصغير الذي يحتاج إلى الرعاية
ككل أطفال العالم الذين يتمتعون بكافة الوسائل وحدائق اللعب والمرح والتسلية بينما الطفل
فلسطيني بفعل الممارسات الصهيونية يحرم من أي رعاية وأي تسلية في أرضه. فتكرار
فعل "زق" لعدة مرات يدل على تغني العصفور بالحياة بينما زققة الطفل الفلسطيني أصبحت
في مرمى نيران الصهاينة بلا رحمة.

٧.٤ الأرض ودلالاتها الرمزية

عَشَقَ الإنسان الفلسطيني الأرض وتمسك بها لإلّاها مصدر حياته الوحيد وعندما جاء العدوان
الإسرائيلي وإحتلاله لأرض فلسطين عام ١٩٤٨ فعمد المحتل على مسخ الهوية والتراث
الفلسطيني ومصادرة وإغتصاب كل مايتعلق بفلسطين من أرض، وماء، تراث، ومقدسات،
فكان لا بُدَّ للشاعر الفلسطيني أن يتمسك بأرضه وهويته وأن يعمل جاهداً للحفاظ على
أرضه وكيانه.

فقد كانت صورة الأرض (فلسطين) إحدى الصور التي لم يتركها شاعر فلسطيني أو يتخلى
عنها لإلّاها زُرَعَتْ فِي أعماق الدم والجسد الفلسطيني على حد قول محمود درويش (كتبت
أسم أرضي على جثتي) وهكذا تكتسب الأرض قيمة فنية كبيرة في نفس الإنسان بحكم
كونها تشكل مقوماً أساسياً من مقومات الإنسان الحضارية والاقتصادية، تقوي العلاقة بين
الإنسان وأرضه حين تتعرض للاحتلال أو المصادرة والضياع، فتشكل الأرض بالنسبة
للإنسان الفلسطيني هويته وإنتمائه، وليست مجرد رقعة مكانية يعيش عليها.

فأكد شعراء فلسطين على هذه العلاقة في قصائدهم من خلال ارتباط الفلسطيني بأرضه عن طريق الفلاحة، وعطاء أرضه الخيرة، وتأكيدهم على هوية الأرض كمنبت ومولد للإنسان الفلسطيني عبر العصور، وبقائه في أرضه وصموده فيها فأصبحت القضية الأولى التي تشغل الحيز الأهم في الشعر الفلسطيني منذ الإنتداب إلى يومنا هذا. وبناء على ما اسلفنا احتل موضوع الأرض مساحة كبيرة في الشعر الفلسطيني، حيث تجلت رمزية الأرض وقداساتها في (الأم والحبيبة والمرأة) وغير ذلك من سمات وصفات جوهرية.

الأرضُ صديقتنا الكبرى/ تُعطينا الحنطةَ والحلوى/ إنْ نَهَواها/ إنْ نَزَرَعُها/ شِبراً شِبراً/ سَتَظَلُّ صَدِيقَتُنَا الكُبرى (نفس المصدر: ٢٦).

فالأرض عند سلافة الحجاوي هي الصديقة الكبرى التي تعطي الحنطة والحلوى وكل الخيرات فعلينا أيها الأطفال أن نعشقها وندافع عنها ونحبها ونزرعها كي تظل صديقتنا الكبرى ومن خلال هذه الكلمات المعبرة تزرع الشاعرة حبّ الأرض وحبّ الفلاحة والزراعة والعمل في نفوس الأطفال. فالشاعرة تحاول زرع هذا الحق المكفول للأطفال فلسطين وتغرسه في نفوسهم وتحثهم على العمل واعمار الأرض وإصلاحها لينهض بالبلد ويوفر لأبنائها الرخاء والسعادة.

٨.٤ غرس حبّ الوطن في نفوس الأطفال

اهتم الشعراء الفلسطينيون الذين كتبوا شعراً للأطفال بالاتجاه الوطني، فأكثرنا من نظم القصائد والأناشيد في هذا الاتجاه وقد دفعت عوامل عديدة الشعراء للإكثار من نظم هذا الاتجاه أهمها:

تعرض الهوية الوطنية الفلسطينية لمحاولات عديدة ومستمرة من قبل الاحتلال الصهيوني للوطن الفلسطيني بهدف الطمس والتدوير وسلخ المواطن الفلسطيني عن تاريخه الوطني وعن أمته العربية والإسلامية في كل المجالات. وكان هدف هؤلاء الشعراء واضحاً وبارزاً فيما يكتبونه للأطفال وهو توعية الطفل الفلسطيني بوطنه، وتعزيز انتمائه إليه، وحثه على الصمود فيه، وعدم الذوبان والانصهار فيما يُعرض عليه من بدائل، فضلاً عن توعيته بوطنه

الكبير عربياً وإسلامياً، وتعزيز انتمائه إلى ذلك الوطن على الرغم من كل الآلام والعذاب التي يمكن أن يلقاها الفلسطيني بشكل أو بآخر في بعض المواقع العربية والاسلامية. (الحبازي، ٢٠٠٩: ١٦٥-١٦٦).

يمثل موضوع حب الوطن أحد أهم المحاور التي تناولها الشعراء الفلسطينيون في أشعارهم، ولاعجب في ذلك إذ يحس الشاعر الفلسطيني بمسؤولية كبيرة إزاء الوطن الذي عانى كثيراً من ويلات الاحتلال وطغيانه، لذا نلاحظ كثرة ما نُظِم في الموضوعات الوطنية، كحب الوطن والشوق إليه، والبطولة والفداء والشهادة والتعبير من معاناة الشعب وقضايا اللجوء. وبناء على ذلك، تتغنى الشاعرة سلافة الحجاوي في أشعارها بجمال الوطن والشوق إليه وشعرها الوطني الموجه للأطفال يهدف لتعزيز إيمانهم بعروبتهم، وترسيخ حب الوطن لديهم، وتعزيز قيم النضال والشهادة تقول الشاعرة في قصيدة: أغنية حب إلى الوطن:

حبيبي ضاع/حبيبي ضاع، كحل العين في جفنيه بيسان/وحيفا، فلقة الرمان في خديه
شطان/له شعر كموج البحر عكا فيه أطياب/ويافا فوق مبسمه مواويل وأكواب.../حبيبي
ضاع، في جنبيه ذكرانا/مناجلنا/أزاهرنا/وزيتونات مرعانا/وليمونات حاكورة/وأنشودات
عصفورة.../يمينا يا صبايا القدس والأغوار والرملة/يمينا سوف نرجعه إلى صحرائنا
نخلة/وسوف نمد أذرعنا/له درجا إلى النجمة/ونمسح في ظلام الليل/عن أحداقه
الغمة.../سنفرش في طريق رجوعه أغراس قتلتنا/ونسقي دربه الأبدى/دماء القلب
غدرانا/شفوف من نجوم الليل/نبنينا له دارا/جرار الزيت نوقدها/على شرفاتها ناراً/نسوره بكل
صبية في السحن أجسادا/سلال الورد نغدها على قدميه/أكبادا فأكبادا (حجاوي، أغنيات
فلسطينية، <http://www.sulafahijjawi.ps/Palsongs.aspx?ID>)

فالشاعرة تشبه الوطن بالحبيب الوسيم الذي اكتحلت عينيه بأريافه وبيوتاته وهدير
الأمواج عكا كشعر تناثر على صدره لكن في لحظة ضاع الحبيب لكنّها لم تفقد الأمل في
استعادته فأخذت تبث رسائل الأمل بعودته وعودة جماله المسلوب فأخذت تتغنى بجماليات
الوطن وما تحويه من أرض ونبات وماء بغية تأديتها لرسالتها التربوية في إرساء النوازع الوطنية
والقومية والإنسانية في نفوس الأطفال.

فبينما أطفال العالم يتمتعون بوطن وأرض ونعمة الإستقرار ينتزع الوطن بقوة السلاح وآلة الدمار من أطفال فلسطين وتبقى دماء الأطفال رهناً بآنتزاعه من المحتلين وبذلك تسلط الشعارة الضوء على حق اطفال فلسطين بتمتع بوطن وأرض تكن لهم عُشاً آمناً، لكنها رغم المصائب والآسى لم تفقد الأمل بعودة أرضها ولذلك عملت جاهدة لزرع الأمل في نفوس الأطفال (رجال الغد) على عودة أرضها واستعادتها من المحتل الصهيوني.

وبناء على ذلك ففي قصيدة "في أعطاف قرينتا" للشاعرة سلافة الحجاوي ترسم نذر الشيخ، أقماره (أطفاله العشرة) للدفاع عن أرض الزيتون كي يرووا الأرض بدمائهم في صورة تنسم بالشجاعة والحمية والغيرة على أرضه.

فالأب يضحي بأقماره العشرة من أجل إستعادة أرضه، حيث تقول:

وفي أعطاف قرينتا/ وفي زَيْتونها الغض/ يقول الشيخ للأرض/ نذرْتُ لك الأقمار العشرة /
/اللاهِيّ ولا تبكي/ نذرْتهم على الوطن.../. يسري العشرة الأجاب في الظلمة/ يغلّفهم سرى
غيمة/ تهبّ الأرض من شغف/ لتلمس وقع أرجلهم/ وتُخفي الطلّ في لهف/ وفي أعطاف قرينتا/
وعند اللد والرملة/ هنالك تسعة عادوا/ وكانوا أكملوا الرحلة/ وأين أخوكم العاشر/ يقول
الشيخ والقمرُ الحزينُ محدقُ ساهرٌ/ هناك أبي زرعناه/ هناك أبي زرعناه! (نفس المصدر: ٢٣)

وفي قصيدة "رصاص" تحكي الشاعرة عن محاورتها للرصاص خلال ستين عاما ولم تفارقها لغة رصاص المحتل بينما أصبحت هذه اللغة مألوفة لطفل الفلسطيني وكلما يبرز قمر من أقمار فلسطين يذهب لمقاتلة المحتل البغيض ويفجر نفسه كي يكتب لأشقائه مساحة من الحياة. المساحة التي استباحها العدو وصارها فحرم أطفال فلسطين من حقوقهم المشروعة:

ستون عاماً قد مضت/ ولم أزل/ أحاور الرصاص/ فقد ولدْتُ بينما كان الرصاص/ يطير
في سماء بلدي/ من فوق رأس أمي/ كأنه فراش/ وإذ شَببتُ/ شبّ معي الرصاص/ وعندما
ارتحلت/ ظل الرصاص/ يتبعني/ يسبقني/ يطير كالفرّاش/ في طريقي/ وكانت النجوم/ تطلق من
فوهاها زخ رصاص. وكلما جاء القمر/ فجرّ قنبلة/ ثم أندثر/ مخلفاً وراءه سرب فراش/ وها أنا
لما أزل/ على انتظار معجزة/ أن تنزع النجوم والأقمار/ سلاحها/ وأن يطير في سمائي الصغيرة/
سرب فراش/ فلا أقول إنه رصاص!! (نفس المصدر: ٩٣).

وبناء على تلك الصورة يربط الشاعر يونس أبوجراد بين القمر والأطفال فذلك مسوّغ عند الشعراء فالأطفال هم أقمار الدنيا، والقمر طفل السموات المدلل إذ يقول:

خُسف القمر/ ذُبح ابتسأمُ الطفل/ والسكينُ دمغُ/ في أضالعه استعر/ يا ويلنا/ هيهات
ينبت بعدها حبٌ تهمش واندثر (أبوجراد، ٢٠٠٥ : ٤٦)

ويؤسس الشاعر عبارته الأول على البناء للمجهول "خُسِفَ القمر" ذُبح ابتسأم الطفل" بما يمنح التعبير قوة ودلالة خفية تتراعى ظلالتها من غلالة العبارات الآتية. وتأمل الدلالة الصورية في خسوف القمر والذبح الذي يجري لبسمة الطفل، وقف عند الفعل "ذُبح" بما يكتنز من دلالات القسوة والوحشية والقتل ولاسيما عندما يقترن هذا الذبح ببسمة طفل برئ وينقلب الدمع في عينيه إلى سكين تقطّع أضالعه وتنزع منها كل إنسانية ورقة واستعمال الماضي من الأفعال "خسف وذبح" يؤشر إلى حتمية حدوته وأنه قضاء واقع لا مناص لرده بما يزيد في وجع الصورة وقتامها، فالربط بين القمر والأطفال مسوّغ عند الشعراء فالأطفال أقمار الدنيا، والقمر طفل السموات المدلل (أبوندى، ٢٠١١ : ٦٤).

٩.٤ صورة الطفل المحروم من دفء الأمّ وحنانها

يهتم الخطاب الشعري للأطفال بتدعيم أواصر المحبة بين أفراد الأسرة، وتحظى الأم بمكانة خاصة عند الشعراء فيتحدثون عن دورها المؤثر في حياة الطفل وتربيته على أسس تربوية صحيحة، ويحرصون على تذكير الأبناء بفضائلها وتفانيها في تربيتهم وما تقدمه من عطاء زاخر وما تحمله في سبيلهم، وكثيراً ما يأتي الخطاب الفلسطيني على لسان الطفل ذاته مبيناً حرمانه من حضن الأم التي يحتمي بها لكنّه كلما جدّ في ذلك المسعى لم يجد ذلك الدفء المنشود بسبب الاعتقال، أو السجن أو النفي وغير ذلك فهي تبقى ذكري معلقة في مخيلته. كما في هذا النص الشعري:

أشتاق إليك يا أمي أكثر من أي وقت مضى/ يزدأ شوقي إليك كلما اقترب الموت مني
أكثر/ أركض هاربة نحوك كي أحتمي فيك من الموت/ أولكي أموت في موتك أكثر/ فلا

أجدك إلا كذكرى أيتها المرأة الجميلة أبدا/ الغاضبة أبدا/ حتى في الموت! (الحجاوي،
٢٠١٥م. نصوص نابلسية، http://sulafahijjawi.ps/?page_id=

١٠.٤ صورة الطفل في ظل قصف المدارس

اهتمت الشاعرة الفلسطينية سلافة الحجاوي بدور المدرسة مبينة على مدى دورها في تنشئة الأطفال وتربيتهم على تعلم العلم والسلوكيات الاجتماعية كحفظ حقوق الآخرين وأداء الاحترام لمن يعلمهم واحترام زملائهم فهي تشجعهم على ارتياد المدارس فالصفوف تنتظرهم بشغف:

المُعَدُّ يَدْعُوكُمْ لِلدَّرْسِ/ وَالطَّبَشُورُ الزَاهِي كَالشَّمْسِ/ يَصْطَفُّ عَلَى كُلِّ اللُّوْحَاتِ/ فَرِحًا
بِالإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ/ الكُتُبُ تُوشِوْشُ لِلْأَقْلَامِ/ وَالْحَرْفُ يُزْفِرُقُ لِلدَفْتَرِ/ فَحَقَابِكُمْ مَالَى
أَنْغَامٍ/ أَحْلَى مِنْ حَبَاتِ السُّكَّرِ / هَيَّا هَيَّا يَا أَطْفَالَ/ فَالصَّيْفُ مَضَى/ وَالدَّرْسُ أَتَى/ وَالْمُعَدُّ
يَدْعُوكُمْ. (الحجاوي، ٢٠٠٩: ٢٠).

فالصورة موحية بمفاهيم كلها شغف ومحبة وشوق لدى الأطفال بعد ما ينتهي الصيف وتبدأ رحلة الدراسة فكل الأطفال يتشوقون لرؤية اصداقائهم ومعلميهم ومدارسهم لكن في فلسطين يطمس ويسلب هذا الحق من أطفالها؛ لأن قنابل المحتل ورماده تذيب احلامهم قبل وصولهم إلى مدارسهم.

كَنَّ فَرَاشَاتٍ مَعْطَرَةً/ يَرشِفْنَ دَفْقَةَ الرِّحِيقِ،/ مِنْ كَتِيبٍ وَدَفْتَرٍ وَمَحْبِرَةٍ/ الأَرْضُ فِي عِيُونِهَا
خَارِطَةٌ/ تَلْهُو بِهَا الْجِبَالُ/ وَتَمْرُجُ السُّهُولُ وَالتَّلَالُ/ فِي أَلْقِ المِيَاهِ وَالظَّلَالِ/ وَكَانَتِ الحَيَاةُ يَوْمَهَا
بِسْتَانٍ/ ضَمَّةٌ وَرَدٌ مِنْ نَيْسَانَ/ نَقْطَةُ حَبْرٍ،/ صَدْرِيَّةٌ/ ضَفْرَةٌ شَعْرٌ عَرَبِيَّةٌ/ غُرْفَةٌ دَرَسٍ... أَغْنِيَّةٌ/
لَكِنْ ذَلِكَ الدَّخِيلُ جَاءَ/ فَأَقْفَرَتِ مَدَارِجُ المَدَارِسِ الحَزِينَةِ/ فِي غَزَّةِ الحَمْرَاءِ/ وَمَا جَتِ السَّاحَاتُ
فِي المَدِينَةِ/ بِالكُتُبِ،/ بِالدَّفَاتِرِ المَلْقَاةِ،/ بِالفَرَاشَاتِ، وَفِي الشَّارِعِ حَيْثُ القَدَمِ الصَّغِيرَةِ/ تَرَاخَمَ
الهُوَاءُ، وَالصَّفِيرَةُ/ تَنْثَالُ مِثْلَ مَوْجَةٍ صَغِيرَةٍ ضَفِيرَةٍ، ضَفِيرَةٍ/ انْهَمَرَ الحَزْنُ عَلَى غُرِّهِ/ وَانْدَفَقَ الدَّمُ
بِلا حَمْرِهِ/ الأَرْضُ فِي عِيُونِهَا أَشْرَقَتْ مِيدَانَ/ الأَرْضُ فِي عِيُونِهَا غَايَةُ الإِنْسَانِ/ تَخْفِقُ حَمْرَاءُ
فَدَائِيَّةٌ فِي قَلْبِ غَزِيَّةِ!!! (الحجاوي، ١٩٩٨: ٢٢).

ففي قصيدة أخرى تصف الشاعرة وحشية الدخيل المحتل وارهابه، مبنية ممارساته القمعية في تحويل المدارس إلى ركام بسبب القصف والصواريخ مخلّفة أشلاء ودماء من الفراشات المعطرة (التلاميذ) التي يرشفن دفقة الرحيق فهي بذلك تؤكد غطرسة المحتل الغارق بالدماء وسلب حقوق التلاميذ من مواصلة الدرس والمدارسة بينما القوانين الدولية تحث على إبعاد المدارس والتلاميذ من أي نزاعات دموية بينما المحتل الصهيوني يضرب تلك القوانين عرض الحائط منتهجاً نهج القتل والاعتقال والقصف:

ينام في سريري الصغير/بمضي معي/للمدرسة/يسهر في غرفتي/يشغلني بفكرة مما لديه/أغفو إذا تعبت في يديه/صديقي الكتاب/يكبر كلما كبرت/أسأله/يسألني/أشغله بفكرة مما لدي/قد نختصم/لكننا لا نفترق/أعيده من بعد حين/للمكتبة/أعود كلما سئمت إليه كي يمتعني/وأمتعته/صديقي الكتاب/ما أروعه! (المصدر نفسه: ٤٢)

قديمًا قال الشاعر العربي أبو الطيب المتنبي عن الكتاب، بأنه خير جليس في كل الأزمان ولذلك نرى الشاعرة سلافة الحجاوي تحاول غرس تلك الفكرة في نفوس الأطفال فالكتاب هو عجلة الحياة في كل مرافقها فتدعو الأطفال إلى اقتناء الكتاب وفتح صفحات الصداقة معه.

١١.٤ صورة الطفل في غياب الفرح والمرح

يبدو الطفل الفلسطيني في أعين شعراء فلسطين طفلًا بريئًا كسائر أطفال الدنيا، يميل إلى اللهو والعبث ويطلب ما يطلبه الآخرون من أمن ودعة وحلم بغد زاهر تشرق أيامه بأطيب الأمنيات.

فالشاعر على الخليلي في أغنية إلى ولده "سري" يدعو إلى اللعب كما تلعب القطط والشجر والنجوم حيث يقول الشاعر على الخليلي:

العب يا ولدي العب / فالقطة تلعب / والشجرة تلعب / والنجمة في الأفق الواسع تلعب العب (أبو عشمه، ١٩٩١: ١٢) وتتساءل عن سر الإلحاح من الأب على ولده بأن "لعب،" أليست سحبة الطفولة أن تلعب من دون توجيه من أحد فما سر هذا الإلحاح؟:

العب / قبل مجيء الدّباحين / لقتلك / ولقتل فلسطين / غابت في العتمة ألعاب / حتى
طرق / يدك الباب / ونأتنا من خلف حجاب وحجاب / ولكن الحرب انتشرت / مثل
السرطان / وعز المهرب / يا ولدي / العب (نفس المصدر: ٨٣)

فالطفل الفلسطيني يسابق الزمن ويسترق اللحظات للعب، قبل أن يأتي الذباحون لقتله،
وقبل أن تحاصره الحرب، ويغتاله الموت الأسود الذي تغيب خلف حجاب أجساد الأطفال
. والشاعر حنا أبوحنّا، في قصيدته يا حنظلة الخير يرى أن من حق الطفل الفلسطيني أن يتفتح
على الحياة بسلاّم وهدوء كما تتفتح الأزهار، وأن يتألق بالنضرة كما تتألق خضرة النباتات :
يا شادي / للنعن أن ينعم بالنضرة / أن يتألق بالنضرة / أن ينسج عطراً شفافاً بأنامله المائية
يا شادي / حقك أن تتفياً ظل طفولتك الغضة (نفس المصدر: ٨١).

لذلك يحرص الخطاب الشعري الموجه للأطفال في ظلّ الأهداف الفنية والتربوية على خلق
جو يسوده المرح والفرح من خلال تناول موضوعات تدور حول قيم التسلية والترفيه يهدف
بعث النشاط والحيوية والشعور بأهمية سلوك اللعب الذي يمارسونه والبوح بما يختلج نفس الطفل
أثناء لبعه وفرحه بالعبه أو قيامه برحلة أو تجمع احتفالي ويمثل العيد قيمة دينية واجتماعية
كبيرة بكل ما يحمله للأطفال من فرح ولعب واستمتاع بالزيارات الاجتماعية مرتدين ثيابهم
الجديدة، لكن العيد يبعث دوماً في النفس الشوق للعودة للوطن، يقول صالح الهواري:

عيدنا اليوم هنا / وغداً عيداً بيافاً / مرحباً بالعيد مرحباً / فيه نلهوفيه نلعب
(نفس المصدر: ٨٣)

وتعرج سلافة الحجاوي على هذا بقولها:

هناك وقت للضحك / هناك وقت للبكاء / في هذه الحياة / في أول الشارع صوت
الزغرودة / في آخر الشارع صوت القنبلة / والفرق قيد أتملة / فلتملأ الفسحة بالضحك / لا
تنتظر / فأخر الشارع سوف ينفجر / قبل انتهاء آخر الضحك / لا تنتظر / هناك وقت للضحك
(الحجاوي، ١٩٩٨ : ٥٤).

فالشاعرة في قصيدة هناك وقت للضحك تسارع الزمن في ضحك الأطفال قبل أن
تقتلهم قنابل المحتل الصهيوني. لأن آلة القتل الصهيونية لم تفسح لهم مجالاً للضحك والمرح

واللعب؛ فبذلك تعتمد على ذبح ابتسامتهم في وقت المرح واللعب وبذلك تصادرحقهم بالامتاع باللعب والضحك متجاهلة كلّ القيمّ الإنسانيّة والقوانين الدولية.

٥. النتائج

- ظهرت صورة الطفل الفلسطيني في شعر سلافة الحجاوي محوراً لأزمته الذاتية ربطت فيها بين الحب والطفولة، فتلاقى همّهما الذاتى مع الهَمّ الوطنى، وكان توقها إلى الحرية نقطة التقاطع فى التعبير عن الموضوع.

- كشفت سلافه الحجاوي قدرة فنية واضحة، عندما قدمت الطفل عبر الصورة المركبة والرمز حيث استجمعت فى هذين النمطين أدواتها الفنية والمعرفية، التى قادتها إلى تحقيق جماليات تصويرية دلت على نزوع تجديدى فى شعرها.

- أكثرت الشاعرة الفلسطينية من توظيف الرموز التي تصور وتجسد الواقع الفلسطيني من خلال لغة الإيحاء والتلميح للواقع الإجتماعي والسياسي الذي يعيشه، بدءاً من الاحتلال وممارساته البشعة ومصادرة الأرض وتشريد أهلها وقتلهم وزجهم في السجون وصولاً للمقاومة والتحدي وإستمرارية النضال بكل الوسائل المشروعة والدفاع عنها بكل اللغات والأجناس الأدبية المعروفة. لذا عكفت على توظيف الرموز في محاولة منها لإستثمار أبعادها وإثراء تجربتها المعاصرة، وإضفاء جمالية فنية على النص الشعري والقضاء على السطحية والخطابية والمباشرة التي لاأخدم القضية الوطنية والمرحلة التي يمرّ بها الشعب والوطن.

- عالجت الشاعرة في شعرها حقوق الطفل المسلوبة في فلسطين بلغة شعرية جميلة أنشدتها (من ضحّت بطفولتها وأصبحت ذكرياتها تعصف بها المآسي). تلك الحقوق التي تعرضت لأبشع المآسي والجرائم والويلات ونالت الكثير من طفولة فلسطين وأصبحت حماية تلك الشريحة وحقوقها ضرورة ملحة جزء لا يتجزأ من حقوق الإنسان العالمية.

- برزت صورة الطفل الفلسطيني المنزوع من أي حقوق في شعر سلافة الحجاوي بطلاً يقاوم آلة الحرب الإسرائيلية، بعد أن صادرت حقوقه الإنسانيّة وحولتها إلى ضحية يتناثر

لحمه ودمه في قارعة الطريق، فينتفض الطفل البريء محملاً بحجارة الوطن يقذف بها وجه الاحتلال البغيض، ويهزم بها آلة الجيش الذي لا يقهر.

- تطرقت الشاعرة في دواوينها خلال هذه المرحلة (الطفولة) للكثير من المضامين المختلفة وكان أبرزها ما تصل بجانب الروحي والإنساني والوطني، فالجانب الروحي جاء معززاً للقيم الإنسانية والمفاهيم الأخلاقية التي تنسجم وطبيعة الطفل ومن حيث الجانب الإنساني فقد تنوع بين غرس قيم الاحترام وقد بدت فكرة تعزيز واحترام حق الطفولة بصورة واضحة وجلية، وفي الجانب الوطني عمدت إلى غرس حبّ الوطن في نفوس الأطفال والتعزيز من قيم الولاء والانتماء وقيم الخير والإنسانية.

- سلّطت الشاعرة الضوء على الحقوق الأساسية لطفل الفلسطيني والذي يتفقدتها نتيجة الاحتلال وقمعه وبطشه وممارساته الإنسانية.

- حاولت الشاعرة تصوير فقدان الطفل الفلسطيني لبيئة صالحة وآمنة للعب والمرح فيها في حين إنّ المحتل الصهيوني سلب تلك الحقوق من الأطفال وحوّل بيئتهم إلى بيئة ملغومة غير آمنة يطاردهم الرصاص وشظايا القنابل في كلّ حين.

- جاء شعرها الطفولي بكلّ عنفوانه يزخر بالحبة والقيم الإنسانية، داعياً المجتمع الدولي والمؤسسات الدولية لتوفير بيئة مناسبة ومناخ صالح لأطفال فلسطين لممارسة حقوقهم في اللعب والمرح والدرس والحرية والصحة، وحقوقهم الوطنية والثقافية والاجتماعية وغير ذلك.

- جاء استدعاء الطبيعة وعناصرها من قبل الشاعرة سلافة الحجاوي بعد تطوير بنيتها الدلالية في إطار تلوين الصورة الشعرية والتميز بها للإشارة عن عمق الأصالة والعراقة الفلسطينية وتجذرها بأرضها، وتصوير صمودها وثباتها رغم محاولات العدو طمس هويتها وتاريخها ومعالم جغرافيتها وتمثّلت رموز المقاومة والنضال بعناصر(الأرض - والشجر - والنبات).

وأخيراً ليست هذه النتائج التي يمكن أدراجها وحسب، بل لقد وصلت الدراسة إلى كثير من النتائج الفرعية المبتوثة في ثنايا الدراسة وهي نتائج جزئية تحملها هذه التي ذكرنا بين طياتها.

المراجع والمصادر

الكتب

- أبو جراد، يونس (٢٠٠٥م)، ديوان أنات القمر، ط١ غزة: مكتبة آفاق.
- أبو عمشة، عادل (١٩٩١م)، مقدمة ديوان شعر الانتفاضة الأولى، ط١، فلسطين، القدس.
- الحجاوي، سلافة (١٩٩٨م)، سفن الرحيل، ط١، وزارة الثقافة الفلسطينية.
- الحجاوي، سلافة (٢٠٠٩م)، ديوان حلم الأطفال، ط١، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي.
- سامي القدسي، أحمد (٢٠٠٩م)، حفظ حقوق الطفل في الإسلام حالة الحرب، الطفل الفلسطيني نموذجاً، قسم الدراسات الإسلامية أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، كوالالمبور.
- شحاته، حسن (١٩٩٤م)، أدب الطفل العربي، ط٢، بيروت: الدار المصرية اللبنانية.
- الشعبي، مهند محمد (٢٠٠٢م)، مدخل إلى أدب الطفل الفلسطيني، ط١، دمشق: دار الينابيع.
- عبدالفتاح، إسماعيل (٢٠٠٠م)، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ط١، القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب.
- عبدالفتاح، أبو معال (١٩٨٨م)، أدب الأطفال دراسة وتطبيق، ط٢، عمان: دار الشروق.
- علي كنعان، أحمد (١٩٩٩م)، أدب الأطفال والقيم التربوية، ط٢، دمشق: دار الفكر.
- فراني، عبد الحميد جمال و عوفى محمد علوى، (٢٠١٣م)، أعلام النساء الفلسطينيات، ط١، بيروت: دارالعلوم العربية.
- فرانيا، محمد (٢٠١٤م)، جماليات القصيدة الطفلية في سورية، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- الحواري، صالح (٢٠٠٨م)، هديل الحمام، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

المقالات

- أبوندى، وليد محمود (٢٠١١م)، «صورة الطفل الفلسطيني في شعر المقاومة»، مجلة بحوث، المجلد ٢٠١١، العدد ٦ صص ٤٥-٨٥.
- الحبازي، مشهور عبدالرحمن (٢٠٠٩م)، «اتجاهات شعر الطفل في الشعر الفلسطيني المعاصر»، مجلة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد ١٥، صص ٢٦٢-٢١٥.
- رستم پور ملكي، رقيه و مريم غلامى و انسيه خزعلى (١٤٤٠ق)، «موتيف الوطن في شعر حازم رشك التميمي ديوان الأحرف المشبهة بالمطر نموذجاً»، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، السنة ٢٢، العدد ٢، صص ٧٥-٩٨.

صورة الطفل في شعر الأطفال المقاوم ... ١٨١

الضبع، محمود (٢٠١٤م) « اتجاهات أدب الأطفال في نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة »، مجلة
دواة، فصلية بالبحوث والدراسات اللغوية، العراق، العتبة الحسينية المقدسة، العدد ١،
صص ١٥٠-١٩٠.

عزت الشحادة أبوسلطان، أسامة (٢٠١٦م)، «جماليات صورة الطفل في شعر فدوى طوقان»، مجلة
جامعة المدينة العالمية، العدد ١٧، صص ٣٧٥-٤٢٣.

المواقع الإلكترونية

سلافة، الحجاوي، (١٩٧٧م)، أغنيات فلسطينية. <http://www.sulafahijjawi.ps/Palsongs.asp>

http://sulafahijjawi.ps/?page_id=47

أطفال فلسطين قضايا وإحصاءات، (٢٠٠٨م)، التقرير عن الجهاز المركز للإحصاء الفلسطيني.

<http://www.pcbs.gov.ps/postar.aspx?lang=ar&ItemID=754>

خصوصية نبات الصّبار في حياة الإنسان الفلسطيني .. /١٧/١٠/٢٠١٣ روضة غنام
(<https://www.arab48.com>).

سلافة، الحجاوي، (٢٠١٥م)، نصوص نابلسية. http://sulafahijjawi.ps/?page_id=726